

# محمد عبد الله الملياري

## كاتباً وشاعراً

بقلم : الدكتور محمد إقبال حسين الندوي

ومن الأسر التي نزحت من الهند واستوطنت الجزيرة العربية ، وساهمت في إثراء الثقافة في المملكة العربية السعودية قديماً وحديثاً ، منها أسرة الكاتب الكبير والشاعر العربي محمد عبد الله الملياري ، وجده محي الدين خان ؛ هاجر هو الآخر من مليبار بجنوب الهند إلى مكة المكرمة في العشرينات من القرن العشرين ، واستقر بها وكانت هجرته لأسباب سياسية تتصل بالكفاح الوطني الهندي ضد الاستعمار البريطاني الذي كان يسيطر على الهند إبان تلك الفترة .

ولد محمد بن عبد الله الملياري بحي "المسقلة" في مدينة مكة المكرمة بالمملكة العربية السعودية في عام ١٩٢٩م (الملياري حارس العربية ؛ زهير محمد جميل كتيبي ، دار الثقافة للطباعة : ص/٧٣) ، وينقل لنا الكاتب محمد جميل كتيبي عن حية محمد عبد الله ، ومولده في مكة المكرمة "أم القرى البللة الطاهرة المقدسة التي ذابت في أفقها أول صرخة من صرخات حياتي ، حينما هبطت على ثراها الطيب المضيء من ظلمات الرحم" .

أبوه عبد الله كان يعمل في الحرم المكي الشريف كمجلد للمصاحف وكان يعمل مطوفاً أيضاً .

وتلقى محمد عبد الله الملياري دراسته الأولى في كتاب بمكة المكرمة ، وتعلم فيه مبادئ القراءة والكتابة ، وحفظ بعضاً من القرآن

محمد عبد الله المليباري - كاتباً وشاعراً

الكريم وشيئاً من الفقه الإسلامي ، ثم التحق بالمدرسة الصولتية المشهورة ، ودرس فيها ستة أعوام ، وأكمل منها دراسته الابتدائية والإعدادية .

وبعد ذلك انتقل محمد المليباري إلى مدرسة الفلاح الملكية عام ١٣٦٤ من الهجرة ، واستكمل فيها دراسته الثانوية ، وفي عام ١٣٩١ هـ حصل شاعرنا وكاتبنا على شهادة الليسانس في الشريعة من الكلية الإسلامية بشانترم ، جنوب الهند ، عن طريق الانتساب .

يجدر بالذكر بأنه شاعرنا محمد المليباري لم يتخرج من أية جامعة نظامية ، ولكنه عاكف على قراءة كتب التراث العربي ؛ والعلوم والفنون ؛ والمعارف العامة ، وخصوصاً مؤلفات المراجع الأدبية ، ووجد في نفسه ميلاً كبيراً لهذه النوعية من القراءة ، الأمر الذي أثرى موهبته الأدبية ، وساعده فيما بعد على إبراز موهبته الشعرية والأدبية و "عابد خزاندار" كتب عن ثقافة محمد الواسعة ؛ وجهوده الخثيثة ؛ وثقته بنفسه ، فينقل الدكتور سيد علوي في بحثه قول "عابد خزاندار" الذي نشر مقالة في جريدة "عكاظ" (العدد : ١٩٦٠ ، الأربعاء ١١/٢/١٤١٢ هـ) : "كان قبل ذلك وبعده واحداً من الذين صنعوا أنفسهم ، وهو فيما أعرف لم يتخرج من أي جامعة معروفة ، ولكنه تخرج من جامعة أسسها وصنعها المليباري ؛ وهي جامعة لا تعترف بصالات الدرس ، وإنما تنطلق من النهم إلى المعرفة ، والمثابرة على طلبها ؛ وارتياح روافدها ، والولوج إلى مظانها ؛ والتعمق في أغوارها البعيدة ، ولهذا جاء قلمه متدفقا كالسيل العرم ، قلم يفيض بالثقة بالنفس ، والاعتزاز بالعبء" (مأخوذة من "مساهمة أدبية ل محمد عبد الله مليباري" : دراسة نقدية ، بحث قدم لنيل شهادة الدكتوراة في جامعة كاليكوت ) .

ويكتب زهير محمد جميل كتبي عن سعة اطلاع الكاتب

والشاعر وعمق ثقافته وشخصيته الممتازة في مجال العلم والآداب، ويقول: "وقد عرف الأستاذ المليباري بسعة اطلاعه وكثرة قراءاته لمختلف الكتب و أمهاتها، إنه لا يترك نوعاً من أنواع الكتب إلا قرأه، وعندما تناقشت معه ذات مرة، وطلبت التخفيف من القراءة بسبب مرض عيني، قال: أنت يا زهير! من يقول هذا الكلام، وأنت تعرف أن القراءة توسع أفق الحياة أمام الإنسان وترفع من قيمته" (المليباري حارس العربية: ص ٢٤٦).

وينقل لنا زهير حديث المليباري من جريدة الندوة: "ففي البداية أشكر أخي وصديقي الحبيب الأستاذ عبد المقصود خوجة على هذه اللفتة الكريمة المتوجهة التي أدفا بها حياتي الأدبية، وهي حيلة عشتها طالب علم، وما زلت أعيشها طالب علم، وسأظل أعيشها طالب علم؛ حتى آخر نبضة من نبضات العمر إن شاء الله" (نفس المرجع: ص ١٨٤)، فاطلاعه الواسع في الفن والأدب يرفع قيمته العلمية والأدبية والفكرية معاً، وأعماله تتميز بكونها آفاقاً رحبة من الثقافة الواسعة.

### نداء المهذب

وبدأ المليباري حياته الوظيفية بإدارة البريد في عام ١٣٦٧هـ؛ حيث شغل بها منصب مأمور بيع الطوابع، ثم عين فيها محاسباً في عام ١٣٧٠هـ، وتدرج في السلم الوظيفي؛ حتى أصبح مدير عام بريد مكة المكرمة بالمرتبة التاسعة عام ١٤٠٠هـ، وأحيل إلى التقاعد بناء على طلبه في عام ١٤٠٣هـ، ثم تفرغ للأدب والعلم بعد ما قضى حيلة حافلة بالإنجازات الكبيرة، ويعد المليباري صحفياً قديراً، قد عمل محرراً بجريدة "البلاد السعودية" عام ١٣٧٤هـ، وكان سكرتيراً ومحرراً بجريدة "الندوة"، ثم تقلد منصب مدير التحرير بها، وله الفضل بإصدار عددها الأول في ٨/شعبان ١٣٧٧هـ، واستمر في تلك الوظيفة

محمد عبد الله المليباري - كاتبا وشاعرا

إلى أن تنازل صاحبها الشيخ أحمد السباعي عن امتيازها للشيخ صالح محمد جمال ، ثم عمل مديراً لتحرير مجلة "قريش" التي أصدرها الشيخ السباعي ، وانتقل للعمل في صحيفة "الرياضة" والتي أسسها بالاشتراك مع الأستاذ فؤاد عبد الحميد عنقاوي في عام ١٣٨٠هـ . وهي الصحيفة المتخصصة الأولى من نوعها في المملكة العربية السعودية . وصدر العدد الأول لها عام ١٣٨٠هـ ، وكان المليباري رئيس تحريرها ومديراً عاماً لإدارتها إلى أن توقفت عن الصدور من العدد/١٧١ بتاريخ ٢٨ ربيع الأول ١٣٨٣هـ ، وذلك بعد إقرار نظام المؤسسات الصحفية . وانضم المليباري إلى مؤسسة "عكاظ" للصحافة والنشر بمجلة كعضو مؤسس لها في ٢٨ ربيع الأول عام ١٣٨٤هـ ، ثم انتخب نائباً لمدير عام مؤسسة "عكاظ" ، واستمر في ذلك المنصب لها حتى عام ١٤٠٧هـ ، وكان كذلك عضواً في نادي مكة الثقافي ، وله الفضل في تأسيس "نادي حراء الرياضي" بمكة المكرمة ، وكان أول رئيس له ، وقد ساهم في إعداد أول مسرحية بمكة المكرمة ، وكل هذا ينك على مدى اهتمامه بميادين الصحافة والرياضة والمسرحية بجوار أعماله الأدبية والثقافية والفكرية (سيد علوي : ص/١٢٧-١٢٨) .

ولم تمهل الأيام والأقدار شاعرنا فقد داهمته الأمراض والآلام في الكبد والبطن في شبابه ، وأجريت له عملية جراحية ، ورغم ذلك كانت آلامه شديدة حتى استأثر به الله إلى جواره ، وهو بالمستشفى التخصصي بالرياض ، وكان ذلك في ٧ صفر ١٤١٢هـ ، وقد ناهز من العمر اثنين وستين ومما يصرف عن شاعرنا بأنه قد تحول إلى كتابة القصة والرواية والتاريخ والدراسات الأدبية ، وساهم مساهمة فعالة في ساحة الأدب العربي السعودي في فترة تربو عن الأربعين عاماً .

## ● أعماله الأدبية :

١- مجموعة قصصه الأولى ؛ هي "مع الحظ" قام بنشر بعض القصص من هذه المجموعة في مجلة "المنهل" أولاً ، ثم جمعها وأخرجها في صورة مجموعة ، وتم طبعها في القاهرة في عام ١٣٧٤هـ فيها أربع عشرة أقصوصة .

٢- مجموعة قصصه الثانية ؛ هي "قاتلة الشيطان" وتحتوي إحدى عشرة قصة ، نشرها نادي مكة الثقافي في عام ١٣٩٧هـ .

٣- وله رواية وحيلة ؛ هي "غربت الشمس" قام بطبعها ونشرها مؤسسة مكة للطباعة والإعلام في عام ١٣٨٦هـ ، وتتألف الرواية من تسعة فصول ، يعالج فيها الكاتب القضايا الوطنية والقومية .

٤- ومن مؤلفاته أيضاً "١٧ رجلاً من أصحاب النبي" وهذا الكتاب يشتمل على دراسة عميقة وعن حياة الصحابة الكرام ، ولا سيما حياتهم الاجتماعية والإسلامية ، وقدّم فيها تفسيراً للوقائع التاريخية والحقائق الزمنية .

٥- والملياري حقق الكتاب المشهور في التاريخ "المنتقى في أخبار أم القرى" لأبي عبد الله محمد بن إسحاق الفاكهي ، والملياري علق عليه ونقحه أيضاً .

٦- والملياري قدم بحثين منفصلين في المؤتمر الأول للأدباء السعوديين والذي انعقد في مكة المكرمة في عام ١٣٩٤هـ ، أما البحث الأول ؛ فعنوانه : "المستشرقون والدراسات الإسلامية" ، والبحث الثاني عنوانه : "أثر الفكر الإسلامي في الآداب العالمية" ، وإنه قد قام بنشرهما في كتاب سماه : "المستشرقون والدراسات الإسلامية" وعنوان

محمد عبد الله المليباري - كاتبا وشاعرا

البحث الثاني أبدله بعنوان : "الفكر الإسلامي والحيازات التغريبية".

٧- وإنه لخص "كتاب إظهار الحق" للشيخ محمد رحمة الله الهندي ، وسماه : "المنتخب المدقق من كتاب إظهار الحق".

٨- وله مقالات عدة منشورة في الجرائد والمجلات العربية .

محمد عبد الله المليباري ساهم في تطور القصة العربية في المملكة العربية السعودية ، فيقول محمد علي قدس : "فقد عرفت المليباري قاصاً له إنتاجه الذي شارك به في القصة السعودية . وكان من المحاولات التي صنعت التجارب الأولى في أدب القصة في الجزيرة" (عكاظ ؛ العدد/١٩٥٨ ، ٩/صفر ١٤١٢هـ) ، وقال الدكتور عمر الطيب الساسي : "ولو تفرغ للقصة والنقد الموضوعي المحض لكان أجدى فهذه هي مجالاته الفنية" (الموجز في تاريخ الأدب العربي السعودي : ص/١٦٩) .

وعالج المليباري في قصصه القضايا الأخلاقية والاجتماعية و العقائدية ، ومن أهم القضايا في المجتمع فيكتب زهير محمد جميل كتي : "واستطاع المليباري عبر قصصه أن يتناول أهم قضايا العصر في جوانب النفسية الدقيقة ، الإيجابيات والسلبيات ، والخير والشر والاطماع ، وألفاظ ومعاني قصصه ليست معقدة أو مستعصية على الإدراك" (المليباري حارس العربية : ص/١٤١) .

وإنه تناول القضايا الأخلاقية في قصصه : "المغرور" و "قاتلة الشيطان" وفي قصص أخرى ، وتعد القضايا الاجتماعية من أهم موضوعات قصصه ؛ كما قصة "ألا ترثي الحال" تمثل ندامة امرأة مغترة بنفسها استفاقت إلى حقيقة مؤلمة تتشغل في إهدارها لعشرين

سنة من حياتها نظير لذة قصيرة لا تلبث ، أزالته هذه اللذة وبقيت هي تندم حظها العاثر .

وقصته "الحائرة" قصة عائلية كثيراً ما يحدث مثلها في أية أسرة حين يرغب المرء في الاختيار بين عقوق الأم ؛ وطلاق الزوجة المثالية ، وفي قصة "سأعيش قوية" يصور الكاتب الشخصية للمرأة العربية التي أغفل عنها الكتاب عامة ؛ فهي ليست ضعيفة تستدر دموع الآخرين في مواقفها الصعبة ، ولكنها "المرأة العربية القوية التي ترى في الانتحار ضعفاً وجنباً" ، وقصة الكاتب "لا يصلح لي هذا البيت" تصور ظاهرة اجتماعية تدعو للعناية الخاصة في مجتمع ثري حيث يمتهن بعض الناس التسول ويتخذونه وسيلة لاكتساب المال والثراء .

ويتحدث الكاتب المليباري في قصصه عن الاعتقاد والإيمان ؛ خاصة الإيمان بالأولياء وكراماتهم ، فالكاتب يدرس المجتمع أن الإيمان بالله ؛ هذا هو الإيمان الحق ، نجد هذه الفكرة في قصة "اليابا موسى" و "أثبت لي وجود الله" . **نداء الهند**

وروايته الوحيدة "غربت الشمس" قصة الحب في أسمى معانيها ، وأبهى صورها حب الإنسان لأخيه وحب أخيه له ، وحبه لترابه و وطنه ولدينه ولأمته ولقومه ، حبه للجمال من كل كائن وكيان ، وتبرز أحداث هذه القصة في "أم وهبت فلنة من أفلاذها لسيدها" ؛ وقصة "ابن عاش ليرتفع بقريته إلى العلياء" ، وقصة شيخ وقف حياته ليعلم بلاده في شبر من أراضيها فموضوعات روايته هي الدين الإسلامي وحب الوطن والأرض .

وإن أهم ما يميز هذه الرواية هي تلك التقنية الفنية الجيدة التي استعملها الكاتب ، لقد كان متمثلاً لكل التفاصيل ، فيعرضها

محمد عبد الله المليباري - كاتبا وشاعرا

متفرقة ، ولكنها واضحة ناطقة ، يستطيع القارئ أن يستجمعها بسهولة .  
يمتاز أسلوبه بلخيال الواسع ، وترجمة هذا الخيال إلى واقع مرئي ،  
وذلك عن طريق التسجيل الفوتوغرافي الدقيق للأحداث ، وهو  
يتخذ نوعاً من الاستيطان الوجداني الداخلي للإنسان في المجتمع ، وله  
أسلوب مميز سهل ومحبب إلى النفوس ، تمتاز إبداعاته بأنها تعانق  
الإنسان العربي و واقعه ويمتاز أسلوبه بالنضج الفني وباللغة البليغة  
في الوصف والسرد والحوار .

محمد عبد الله المليباري شاعر مطبوع متميز ، إلى جانب أنه  
كاتب وباحث متمكن ؛ وإن شهرته في الكتابة أوسع من شهرته في  
قرض الشعر ، ولكنه ليس في حياته غير الشعر ، فهو يعيش مع  
الشعر في ليله ونهاره ، وله عدد من دواوين الشعر ، التي لا يزال  
أكثرها غير مطبوعة ؛ فلم تخضع أعماله الشعرية لدراسات مستفيضة  
(زهير محمد جميل كتيبي : ص/١٤٧) يمتاز شعره بأسلوب حسن السبك  
ورصانة النسيج وانسجام الوزن وبهاء القافية وحسن اختيار الكلمات  
ووضوح الألفاظ وقوة المعاني (نفس المرجع : ص/١٤٨) .

ويمتاز شعره في معالجة كثير من المواضيع والقضايا الخلية  
والعربية وشعره الوجداني مزيج من الصور النفسية والفكرية  
والعاطفية ، وقد استعمل الفصحى بمفرداتها وتراكيبها وخصائصها  
الحكمة لبناء القصيدة .

ويلمح في شعره الفكر الإسلامي والحنين إلى الوطن ؛ كما  
يقول في قصيدة :

قد كنت في أرض السملحة والعلا  
في كيرالا بين الترائب ذاتي



أسري مع النسمات في لجج الهوى  
 أهو مع الأزهار في الغابات  
 و أداعب الصبح المنير معللا  
 إيها باللمسات و القبلات  
 إني مع القمر المنير هنا على  
 شوق إليك أبره بجياتي  
 أنعم بنور الله يأتينا به  
 أمي مكة جابر العثرات  
 أصغي إلى التنزيل من وحي الذي  
 نشر الهدى في محكم الآيات  
 أرنو إلى خطوات أحمد ذاهبا  
 نحو الحطيم بعزة و أنلة

وإنه كتب العديد من القصائد الشعرية الوجدانية والوطنية والاجتماعية، وشعره يمتاز بالانفعال الحسي والعاطفي والنفسي؛ والتحليل المتمكن، وهو شاعر مرهف الإحساس ورفيق الشاعر، وتمتاز أشعاره بكشف الهم النفسي وبالفلسفة الإسلامية وامتزاج التجربة الذاتية، ويمتاز أسلوبه بالإحساس الصادق، ودقة التحليل في طرح القضايا وبوضوح الرؤية الصادقة التي تعالج القضايا الاجتماعية والأدبية والفكرية.

\*\*\*

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

\*\*\*